

## تقديم

يأتي هذا المؤلف الجماعي ليثمن التداول العلمي الذي بادر به مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية حول جائحة كورونا وتأثيراتها المختلفة على الجزائر والعالم، استنادا إلى قراءات وفرضيات أولية في الفترة الأولى من الوباء، وذلك من خلال تنظيم الملتقى الدولي الافتراضي الأول الموسوم "المجتمع والجائحة" يومي 3 و4 جوان 2020، بالتعاون مع مركز "فاعلون" للبحوث في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية والإنسانية<sup>1</sup>.

وكان تنظيم الملتقى مواصلة لإسهامات باحثي مركز الكراسك في التقرير العلمي الذي أنجزته الندوة الجهوية لجامعات الغرب الجزائري حول موضوع "معيش الجزائريين خلال فترة الحجر الصحي واستراتيجية ما بعد كوفيد 19"، انطلاقا من قراءات متعددة التخصّصات، وذلك من خلال تقديم أوراق بحثية حول الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والقانونية للجائحة. وكان هذا التداول الأولي دافعا إلى القيام بتحقيقات ميدانية مرحلية لاستثمار أولى المعطيات الميدانية المرتبطة بهذا الوباء وتبعاته الصحية وأثاره المختلفة.

وأمام واقع مستحدث زعزع معظم طرق اشتغال الأنظمة السائدة في "مجتمع المخاطرة"، بتعبير أولريش بيك Ulrich Beck، اضطرت هذه المجتمعات إلى العودة إلى ذاتها واعتماد طرق مغايرة لأنظمتها ووضع استراتيجيات جديدة لمواجهة التغييرات التي فرضتها هذه الأزمة العالمية. وتمّ تسخير كل الوسائل المتاحة لمواجهة السلوك غير المتوقع للفيروس والتأثير الكارثي لهذه الجائحة على المستوى المحلي والدولي، مع كل ما خلّفته من خسائر بشرية منذ بداية انتشارها.

---

<sup>1</sup> نتقدم بالشكر الجزيل للمشرف العام لمركز فاعلون الدكتور مبروك بوطوقة على ما قدّمه من خبرة تقنية في التعاون مع إطارات المركز بما ساعد في نجاح الملتقى الافتراضي.

وعلى غرار بلدان العالم التي مسّها الوباء، نزحت الجزائر منذ شهر مارس 2020 نحو خيار الحجر الصحي الذي تراوح بين الحجر الجزئي و الكلي، وشمل بشكل أوسع مناطق معيّنة من الوطن أكثر من غيرها نظرا لتفشي الوباء وارتفاع عدد الإصابات والضحايا فيها على نحو كبير. ولم يقتصر تأثير هذه الجائحة على الجانب الصحي فحسب، بل مسّ في العمق العديد من جوانب الحياة اليومية للمواطنين ؛ الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية والسياسية، وهو ما يبرّر ضرورة إشراك العلوم الاجتماعية إلى جانب علوم الصحة في الدراسات الموجّهة نحو معاينة وتحليل هذه الظاهرة المعقّدة.

ففي الوقت الذي كانت تتسارع فيه الأبحاث الطبّية لإيجاد علاج فعّال للفيروس، وتوفير ترياق يحلّ محلّ البروتوكولات العلاجية المؤقّته المتداولة لحد الساعة بغرض التخفيف من حدّة الوباء، لم يدّخر الباحثون في علوم الإنسان والمجتمع جهدا في دراسة التفاعلات المجتمعية وتحليلها، واستنطاق التأثيرات السلبية للوباء التي مسّت الأفراد والجماعات على حد سواء، من خلال دراسات ميدانية مقارنة تكيفت مع الإجراءات المعمول بها لتسيير الأزمة، والتي تبنتها مختلف الأنظمة الحكومية في العالم. وتمتّ مسألة العديد من الموضوعات بشكل مغاير، ودراسة أشكال العلاقات الجديدة التي نشأت في سياق مستأنف تمخّض عنه بروز إشكالات جديدة في مختلف الحقول البحثية في العلوم الاجتماعية، ولذا كانت الضرورة ملحّة للرجوع إليها من أجل فهم أزمة صحية واجتماعية مع كل ما ينتج عنها من آثار.

وبناء على ذلك، يجمع هذا المؤلّف الجماعي بين دفتيه جملة من الأوراق البحثية التي عُرضت وتوقّشت في الملتقى الدولي حول "المجتمع والجائحة"، حيث كان الهدف هو مقارنة هذه الأزمة الصحية من منظور العلوم الاجتماعية والوقوف عند الرهانات المجتمعية والآثار التي تمخّضت عن الجائحة في مختلف جوانب الحياة اليومية، والتي خلّخت بطريقة أو بأخرى أنظمة التسيير والحوكمة في مختلف القطاعات الحيوية. وتمحورت جلّ الإسهامات حول مسائل ذات أولوية في البحث الاجتماعي الأنثروبولوجي وحتى الاقتصادي والنفسي والمرتبطة بالإشكالية الرئيسية للملتقى.

تتطرق التساؤلات الأولى والإشكالات النظرية المطروحة للنقاش والتداول وكذا بعض التحقيقات الاستكشافية الأولية إلى تحليل العلاقات الناشئة أو التي أعيد بناؤها في محيط موبوء. ويتعلّق الأمر في هذا المؤلّف بمختلف الموضوعات المرتبطة بالمعيش

الاجتماعي خلال فترة الحجر، ونعني بذلك على الخصوص الأنظمة الصحية والاقتصادية والإجراءات القانونية والخطابات والدينية والحركية والتنقل في المدن، وكذا تسيير الحيز الجغرافي بالإضافة إلى رهانات الرقمنة. وتناولت أوراق بحثية أخرى التحولات التي طرأت على بعض مؤسسات التنشئة والتكوين مثل الأسرة والمدرسة والجامعة، إضافة إلى مسألة الاستهلاك الثقافي والمكانة التي شغلها الوباء في المتخيل الشعبي والكتابة الروائية على المستوى المحلي والعالمي.

وتمّ التوقّف عند اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية التي تفاقمت بسبب الأزمة الصحية وما ألحقته من ضرر في الحياة اليومية، خاصّة مع تصاعد الأخطار وتعمّد ظروف الحياة وطرق العلاج وأشكال استمرار مختلف النشاطات الاجتماعية والمهنية جراء تفشي الوباء. وكشفت أنظمة الضمان الاجتماعي عن محدوديتها أمام وضع تغيّرت فيه النشاطات المهنية بشكل تام في كل القطاعات الاقتصادية، والتي يحتل فيها العمل الموازي أو النشاط غير الرسمي جانباً كبيراً من جهة أخرى. وفي هذا السياق، تطرّقت بعض الأوراق إلى أشكال التضامن الاجتماعي في الفترة الأولى من الجائحة وآليات المناعة والمقاومة المجتمعية.

وأما ما يتعلّق بقطاع التعليم العالي، فقد فرض التعليم عن بعد نفسه خياراً بديلاً لا غنى عنه في فترات الحجر الصحي للتخفيف من وطأة الصعوبات التي ترتبت عن غياب إمكانية الولوج إلى المؤسسات الجامعية. وبالرغم من أهمية هذه الصيغة البديلة لسدّ الفجوة البيداغوجية إلاّ أنها تفترض حوكمة بيداغوجية خاصّة وتفكيراً إجرائياً عميقاً يأخذ بعين الاعتبار الفوارق الاجتماعية والصعوبات التقنية. كما شكّلت مسألة الحركية في الأوساط المأهولة أو المناطق الحضرية في الجزائر والتكفّل بها من طرف المصالح العمومية في فترات الأزمة تحدياً عسيراً يدفع إلى تسليط الضوء على الاختلالات الوظيفية التي عرفها قطاع النقل والتدابير التي تمّ اتخاذها من قبل السلطات المركزية والمحلية للتحكّم في الوضع السائد.

وإذا لازم الأزمة الصحيّة خطاب ديني حول الوباء بوصفه لعنة أو عقاباً إلهياً، فقد تبنّت الهيئات الدينية الرسمية خطاباً مغايراً من خلال إصدار عدد من الفتاوى في شكل بيانات خلال فترة الجائحة تؤدّد الخطابات الطبيّة وتدابير الحجر الصحي التي فرضتها السلطات العمومية، خاصّة ما تعلّق منها بغلاق المساجد ومنع الصلوات الجماعية. وتناولت مناقشات الملتقى موضوع المدوّنة الأدبية المخصّصة لهذه الظاهرة الاجتماعية

الصحية حيث عرفت اهتماماً جلياً لدى بعض الأدباء والشعراء خاصة ما تعلق منها بالتمثيلات الشعبية عن الباتولوجيا الوبائية، وهي تمثيلات ترسخ بعناية في الموروث الثقافي اللامادي للمجموعات الاجتماعية، وتصف على نحو دقيق معيشها ومعاناتها في لحظات الأزمات، إضافة إلى الطرق التقليدية المتبعة لمواجهة هذا الفيروس غير المرئي. وقد انبثقت عن هذا المتخيل الشعبي العديد من الأشكال التعبيرية الأدبية التي جعلت من الجائحة مصدراً من مصادر الإلهام الفني.

ولا يفوتنا أن نشير في الختام إلى أهمية أوراق الباحثين من لبنان والعراق واليمن وإسبانيا بما أعطى فرصاً للمقارنة بين ردود فعل المجتمعات في سياق الأزمة خلال الفترة الأولى من الجائحة. وتبقى الإسهامات الواردة في هذا الإصدار الجماعي رؤى وتوجهات وفرضيات أولية حول أزمة كوفيد 19 في فترتها الأولى، وأنّ الدراسات الإمبريقية المتراكمة هي الوحيدة التي بإمكانها أن تجيب عن عديد التساؤلات التي أثارها المناقشات في هذا الملتقى أو تلك التي تداولتها العلوم الاجتماعية بمختلف تخصصاتها حول الجائحة.

صورية مولوحي<sup>(1)</sup> وجيلالي المستاري<sup>(2)</sup>

(1) أستاذة بحث أ، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، 31000، وهران، الجزائر.  
(2) أستاذة بحث أ، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، 31000، وهران، الجزائر.